الاستاذ جاك لوب

Prof. Jacques Loeb

جاء في هذا العلامة ومقتطف ابريل على وشك الظهور فاشرنا الى وفاته ثم اطلعنا الآن على وصف حياته العلمية في مجلة ساينس فاعتمدنا عليها في كتابة هذه السطور

قالت ان علم الحياة (البيولوجيا) في اوسع معانيه خسر الخسارة الكبرى بوفاة جاك لوب ذلك العقل النادر المثال الذي لم تبدُ عليه دلائل الشيخوخة بل بقي ينتقل من موضوع الى موضوع فيمتلك زمام كل موضوع يأخذ فيه ويرصعهُ بحقائق جديدة واساليب جديدة وآراء جديدة

ولد في المانيا سنة ١٨٥٩ ودرس علم الطب في برلين وميونخ وستراسبرج واختير مساعداً في المعمل الفسيولوجي بجامعة ورزبرج سنة ١٨٨٦ ثم في المعمل الفسيولوجي بجامعة ستراسبرج سنة ١٨٨٨ . ومن سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩١ خوّل قضاء جانب من كل سنة في المعهد البيولوجي بمدينة نابلي

وهاجر الى الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٨٩١ لانهُ كره ما رآهُ في بلاده من استبداد الحكام وحب السلطة . وظل الى آخر ايامه يكره الروح الحربية وكتب في زمن الحرب مقالات كثيرة مبيناً جهل الذين يسرفون في قوة الامة ومضار الحروب الناتجة عن التناظر بين الامم . ولما وصل الى اميركا جعل استاذاً لعلم الاحياء في كلية برين مور واقترن تلك السنة بسيدة اميركية . وعُرض عليه في السنة التالية منصب في جامعة شيكاغو مقر جماعة من كبار البيولوجيين فاقام فيه عشر سنوات ثم انتقل الى كليفورنيا وعين في جامعتها استاذاً للفسيولوجيا وسنة ١٩١٩ انتقل الى معهد ركفلر الخاص بالبحث الطبي في نيويورك وجُعل رئيساً لقسم الفسيولوجيا العمومية حيث اقام الى ان ادركتهُ الوفاة

كانت باكورة اعماله العلمية كتاب نشرهُ سنة ١٨٩٥ في هليوتروبية الحيوانات اي اتجاهها الى الشمس كما يتجه النبات ولاسيما المعروف بدوار الشمس . وفي هذا الكتاب من دقة البحث واصالة الرأي وبعد النظر ما ظهر بعد ذلك في كل كتاباته التالية وقد كان غرضهُ تفسير الاعمال الفسيولوجية بانها اعمال طبيعية كيماوية وتعليل الحياة بنوع عام وافعال الحيوانات بنوع خاص بانها كلها اعمال ميكانيكية محضة

وتتابعت المقالات العلمية من قلمه كالسيل . وكان عقلهُ البحَّاث يأبى الاكتفاء بالسبل العملية المطروقة فيستطرد منها الى الامور النظرية والمبادىء الكلية . كان كتابهُ الاول في الهليوتروبزم (الاتجاه نحو الشمس) الحلقة الاولى من سلسلة من الكتب من نوعهِ تلا بعضها بعضاً فاحتلتهُ المنزلة العليا بين علماء الحياة ضمَّنها خلاصة بحثهِ وبحث غيرهِ وخلاصة آرائهِ التي قادهُ البحث اليها . ولم يكتف بتأليف الكتب بل كان لهُ اليد الطولى في نشر مجلة الفسيولوجيا العامَّة التي صار لها الشأن الاكبر فيما بلغتهُ المباحث البيولوجية الفسيولوجية في اميركا من حيث علاقتها الطبيعية الكيماوية

وكان قد مال الى البحث الطبيعي الكيماوي من حيث علاقتهُ بالحياة فقادهُ ذلك الى البحث في المواد البروتينية الى تأليف آخر كتاب الفهُ فيها قبيل وفاتهِ

وهذه الصفة التي امتاز بها وهي الانتقال من موضوع الى موضوع بسهولة يشاركهُ فيها كبار العلماء مثل هلمهلتز وباستور . سألهُ مرة احد علماء علم الحيوان كيف تجد الوقت الكافي لتعلم مبادىء علم قبلما تخوض فيهِ فقال اني لا اتعلم مبادىء العلوم ولا داعي لذلك وانما اشرع في العمل فيأتي العلم من العمل

كان عقلهُ من العقول النادرة في قوة التحليل والتركيب الآ انهُ لم يكن ذا بداهة قوية يرى بها كل وجوه المسألة بنظرة واحدة كأنها شيء واحد ولذلك ارتأى آراء لا تسلم من الانتقاد مثل رأيهِ في ان الحياة فعل ميكانيكي مجرَّد ومثل رأيهِ في ان الوجدان لا يستحق البحث ولا يقوم على وجودهِ دليل ومثل قوله ان العقل وحدهُ كافٍ لاصلاح امور الناس وارشادهم الى السبيل السوي

لكنهُ لم يكن سياسيًّا ولا فيلسوفاً بل عالمٌ بيولوجي فما اخطأ فيهِ لا يحط من مقامهِ العلمي لانهُ شيء سلبي واما ما اصاب فيهِ وهو الشيء الايجابي فيبقى خالداً حيًّا محياً لانهُ يدفع غيرهُ على السير في خطتهِ العلمية . من ذلك بحثهُ في اتجاه الحيوانات في حركاتها topism فان ما ابانهُ في هذا الباب سيبقى اساساً يبنى عليهِ في كل العصور التالية في بحث طبائع الحيوان الفسيولوجية ومنهُ بحثهُ في التولُّد والتلقيح وتعليل الافعال البيولوجية تعليلاً طبيعيًّا كيماوياً وما يقع بين الايونات (اي الجواهر المحلولة بالكهربائية) من المغايرة في اعمال النمو وبحثهُ في البروتينات